ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Dr. Prof: Muhammad Yusuf Ibrahim

Khaled Ahmed Sobh

Tikrit University - College of Education for Human Sciences

Email:

Keywords:

Uprising, Serbia, Ottomans, nationalism

A r t i c l e i n f o

Article history:

Received 29.Dec.2021

Accepted 17Feb.2022

Published 28.Feb.2022

Reasons for the collapse of the First Serbian Uprising 1804-1813

A B S T R A C T

The Our research included (The reasons for the collapse of the first Serbian uprising 1804-1813) , At the beginning of the nineteenth century, Serbia witnessed widespread rebellions and uprisings against the Ottoman rule from 1804 until 1813, and the emergence of national revolutions in Europe encouraged the Serbs to prepare for an uprising that included All segments of Serbian society, against the Ottomans because of the use of violence and cruelty against them by the Ottoman Janissary forces.

Through this brief study, we will try to shed light on a general historical overview of the most important events of the first Serbian uprising that began at the beginning of the nineteenth century, as well as addressing the most important political and military developments that permeated it until 1813, as well as the most important battles and events. The reasons that led to its collapse.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol2.Iss47.3073

أسباب انهيار الانتفاضة الصربية الأولى (١٨٠٤ – ١٨١٣)

أ.د. محمد يوسف ابراهيم القريشي م.م. خالد احمد صبح الويسي
جامعة تكريت – كلية التربية للعلوم الانسانية

الملخص

تضمن بحثنا الموسوم "أسباب انهيار الانتفاضة الصربية الاولى ١٨٠٤–١٨١٣"، ما شهدته صربيا في بداية القرن التاسع عشر من انتفاضات واسعة ضد الحكم العثماني منذ عام ١٨٠٤ وحتى عام ١٨١٣، وقد شجع ظهور الثورات القومية في أوربا الصرب على الاستعداد للقيام بانتفاضة ضمت كافة شرائح المجتمع الصربي، ضد العثمانيين بسبب استخدام العنف والقسوة ضدهم من قبل قوات الانكشارية العثمانية.

وعبر هذه الدراسة المقتضبة سنحاول تسليط الضوء على أهم أحداث الانتفاضة الصربية الاولى التي بدأت في بداية القرن التاسع عشر، فضلاً عن التطرق الى اهم التطورات السياسية والعسكرية التي تخللتها حتى عام ١٨١٣، ودراسة اهم الاسباب التي ادت الى انهيارها بالتفصيل.

الكلمات المفتاحية: انتفاضة ، صربيا ، العثمانيون ، قومية

المقدمة

منذ النصف الاول من القرن الرابع عشر تمكنت القوات العثمانية من فرض سيطرتها على مناطق ومساحات شاسعة ومترامية الاطراف من البلقان، وكانت صربيا من اهم مراكز الوجود العثماني فيها، وقد حاول الصرب من الحفاظ على وجودهم القومي والديني، طيلة سنوات عدة مستفيدين من نظام الحكم غير المباشر الذي كانت تطبقه الدولة العثمانية في صربيا، الا ان ضعف الدولة العثمانية وتمادي قوات الانكشارية الموجودة في صربيا في اتباع سياسة الظلم والقسوة ضد السكان الصرب، ادى ان يوحد الصرب صفوفهم للوقوف بوجه تلك التصرفات المسيئة للسلطنة العثمانية التي وقفت عاجزة عن وضع حد لهؤلاء الانكشارية الذين اعلنوا عن تمردهم عن طاعة السلطان وبالتالي بدئوا وفق مصالحهم الخاصة التي الحقت المزيد من الظلم بالسكان الصرب وقد اتاحت تلك الاحداث الفرصة للتدخل الخارجي من قبل بعض الدول الاوربية وتأجيج الصراع لأسباب مختلفة ربما كان الديني والقومي احد اهم مبرراتها التي اظهرتها تلك الدول للصرب، الا ان واقع الحال كان يشير الى ان مصالح هذه الدول هي التي دفعتها للتدخل في المسألة الصربية التي كانت الجزء الاكبر من المسألة الشرقية في محاولة لإضعاف الدولة العثمانية واقتسام ممتلكاتها ولاسيما في البلقان التي تعدها روسيا منطقة نفوذها.

شهدت صربيا في بداية القرن التاسع عشر تمردات وانتفاضات واسعة ضد الحكم العثماني منذ عام ١٨٠٤ وحتى عام ١٨١٣، اسهم فيها كافة شرائح المجتمع الصربي ،الذين سئموا من وجود الانكشارية وعلى الرغم من ان هؤلاء المتمردين لم يعلنوا خروجهم عن طاعة السلطان العثماني وان ما يقومون به هو ضد قوات الانكشارية العثمانية الا ان السلطان والباب العالي لم يؤدوا ما عليهم في نصرة الصرب مما عمق من حجم الصراع وزاده بالتدخل الاجنبي الواضح والصريح بالأحداث.

وقد تطرق البحث الى لمحة تاريخية عامة عن اهم احداث الانتفاضة الصربية الاولى التي بدأت في عام ١٨٠٤، واهم التطورات السياسية والعسكرية التي تخللتها حتى عام ١٨١٣، ومن ثم التطرق بشكل مفصل لاهم الاسباب التي ادت الى انهيار تلك الانتفاضة والتي تراوحت بين الاسباب الاقتصادية والعسكرية والسياسية.

أولاً: لمحة عن الانتفاضة الصربية :-

شهدت صربيا عام ١٨٠٤، انتفاضة شعبية عارمة ضد الدولة العثمانية التي كانت قد فرضت سيطرتها على مناطق واسعة من البلقان لاسيما بلغراد عاصمة الصرب، التي كانت من اهم مراكز العثمانيين، منذ ان سيطروا عليها عام ١٣٨٩م في معركة كوسوفو الشهيرة، وعلى الرغم من ان صربيا حاولت الحفاظ على وجودها القومي والديني نتيجة سياسة التسامح التي اتبعها العثمانيين في المناطق التي سيطروا عليها في البلقان الا انه ومع ظهور علامات الضعف في الدولة العثمانية والتي اسفرت عن ظهور ثورات قومية في اوربا عامة والبلقان بصفة خاصة[١] ، وهذا ما شجع الصرب للاستعداد للقيام بالتمرد ضد السلطات العثمانية الحاكمة في مناطقهم نتيجة القسوة وتسلط الانكشارية عليهم بعد ان عجز الصرب عن ايجاد حلول لمشكلتهم مع الانكشارية لذلك اضطروا للقيام بالانتفاضة والتمرد ضد جنود الانكشارية العثمانية، وكانت الانتفاضة في بدايتها ذات طابع محلي أسهمت فيها كافة طبقات المجتمع الصربي لاسيما الفلاحين الذين كانوا اكثر الشرائح تضرراً بسبب جباية الضرائب العالية عن اراضيهم، وقد اسهمت عوامل اخرى في اذكاء الفتنة بين الصرب والعثمانيين والتي تمثلت في التدخلات الخارجية سواء كانت على المستوى الدولي او على المستوى الاقليمي ، فضلاً عن بروز العامل الاكثر خطورة المتمثل بعصابات القتل والتهجير التابعة للمنظمات والجمعيات السرية العالمية والتي مارست دور خطيراً في تجنيد جماعات خاصة للاغتيالات والتصفية بين سكان الصرب ولاثارة البلبلة وتغذية بعض العقول من قادة الصرب بالافكار التي زادت من الحقد والكراهية الدينية بين ابناء المجتمع الواحد في صربيا من جهة وبين المسلمين الموجودين في صربيا من جهة اخرى[٢].

بعد ذلك اصبحت صربيا مسرحاً لأحداث وصراعات طويلة ودامية ليس على المستوى المحلي والاقليمي فقط بل تعدى ذلك على المستوى الدولي، لاسيما بعد ان تدخلت دول اوربية كبرى مؤيدة للصراع الدائر بين الصرب والعثمانيين وغذته بروح الصليبية المسيحية المتمثلة بالكنيسة، وبذلك فقد تظافرت عدة عوامل على مسرح الاحداث لقيام الانتفاضات والتمردات الصربية ضد الدولة العثمانية، بالرغم من ان العامل الديني لا يعد الاساس في هذا التدخل وانما كان تدخل الدول الاوربية لأجل المصالح الخاصة لكل دولة في محاولة منها لإضعاف الدولة العثمانية واقتسام ممتلكاتها في البلقان فيما بينهم مستغلين ظهور الحركة القومية الصربية التي كانت المحرك والدافع لكل الانتفاضات والتمردات في صربيا والمدن المجاورة لها، وقد حاولت الدول الاوربية الكبرى من استغلال تلك الحركات القومية لمصالحهم الخاصة عبر التحريض تارة والدعم المادي والعسكري تارة اخرى[٣].

سبق اندلاع الانتفاضة الصربية الاولى احداث خطيرة، كان اولها مقتل الوالي العثماني لباشوية بلغراد حاجي مصطفى باشا في ١٥ كانون الاول ١٨٠١،من قبل الانكشارية والذي كان من احسن الولاة الذين حكموا الباشوية باسم الدولة العثمانية حتى ان الصرب كانوا راضين عن حكمه، لذلك كان يلقب بابو الصرب، بسبب جديته في تطبيق الاصلاحات ، ولكن هذه الجدية اصطدمت مع قوة وجبروت الانكشارية، اما الحدث الاخر الذي اقدم علية جنود الانكشارية في بلغراد قيامهم بقتل الامراء الصرب (الدوقات) والتي يطلق عليهم النيازيون الصرب، وهذه الحادثة كانت سابقة خطيرة لانها زادت من تأزم الاوضاع في صربيا وادت الى تلاحم الشعب الصربي والالتفاف حول قادتهم والوقوف صفاً واحداً بوجه قوات الانكشارية وايقاف الخطر الداهم عليهم، فعمل الصرب على عقد الاجتماعات التي توصلوا فيها الى نتيجة انه لا حل امامهم بعد ان عجزت السلطات العثمانية في الباب العالي من الوقوف بوجه تمادي الانكشارية وظلمهم للناس الا توحيد صفهم ومقاتلة الانكشارية من اجل طردهم من باشوية بلغراد، وقد قرر الزعماء الصرب انتخاب قادة للانتفاضة الصربية تتولى تنظيم قيادة القوات التي ستواجه الصرب، وبالفعل فقد تم انتخاب قره جورج قائداً لقوات الانتفاضة الصربية وبدأ هذا الزعيم الصربي بجمع الرجال المقاتلين واعدادهم لخوض المعارك[٤].

كانت المعركة الاولى في الانتفاضة الصربية الاولى هي معركة درلوبا في ٢٤ شباط ١٨٠٤،في مدينة سوبوت القريبة من بلغراد لم تسفر عن انتصار لاحد الطرفين اللذان تكبدا خسائر مادية وبشرية وهذا ما دفع بالجانب العثماني لتهدئة الاوضاع والتفاوض مع الصرب الا انهم لم يتوصلوا الى نتائج مرضية للطرفين ، مما دعا الى تجدد المعارك بين الصرب والعثمانيين، اذ خاض الطرفين سلسلة طويلة من المعارك طيلة المرحلة الاولى من الانتفاضة الصربية الاولى التي استمرت من ١٨٠٤ وحتى ١٨١٣،وقد تخللت هذه الاحداث والمعارك معاهدات سلام واتفاقيات صلح واحياناً تكون هناك هدنة وتوقف مؤقت للمعارك من اجل تخفيف حدة النزاع وايقاف دائم للصراع، الا ان تدخل ودعم الدول الكبرى اسهم في عدم التوصل لسلام بين الطرفين، اذ لم يكن التدخل لصالح الصرب فقط بل كان بتحريض العثمانيين ايضاً لاسيما تلك الدول التي كانت تطمح في الحصول على امتيازات ومكاسب مادية من الباب العالي على حساب الصرب الذين خاضوا معارك طويلة ضد العثمانيين اهمها معركة سوفودول، ومعرك رودنيك ،ومعركة باتوتشينا ، وبعد هذه المعارك تدخلت النمسا للوساطة بين الطرفين والتوصل الى مفاوضات زيمون في ٢٨ نيسان ١٨٠٤، اذ كانت هناك مطالب للصرب لم يوافق عليها الباب العالي كونها شروط بعيدة عن الواقع وكان هذا الرفض لتلك المطالب من قبل الباب العالي بتحريض من فرنسا التي كانت في حالة صراع مع روسيا حليفة الصرب الاولى، لذلك اصدر الباب العالي الاوامر لاستئناف القتال ضد الصرب من جديد.

نتيجة لذلك حاول الصرب ان يظهروا الولاء والتودد للسلطان من خلال ارسال الرسائل الى السلطان العثماني سليم الثالث، واوضحوا فيها بان انتفاضتهم ليست ضد السلطان وانما ردود افعال ضد عنف وتسلط الانكشارية، وان ما اقدموا عليه لا يعني عدم الولاء والخروج عن طاعة الحكومة الشرعية في بلغراد.

كانت كل تلك المراسلات بين قادة الصرب والباب العالي مجرد تطمينات للسلطان من قبل الصرب لكسب الوقت لإعادة تنظيم صفوفهم والاستعداد لمعارك جديدة، وكانت هذه الامور لا تخفى على الباب العالي الذي عمل على مسايرة الصرب، واعطاء فرصة جديدة للمتمردين الصرب لإعادة حساباتهم والتوقف عن مقاتلة العثمانيين في الاراضي الخاضعة لهم في المقاطعات الصربية، لاسيما باشوية بلغراد التي كانت اهم بؤر الصراع في صربيا، وبنفس الوقت ارسل الباب العالي حملة جديدة الى الصرب بقيادة بكير باشا في ايلول ١٨٠٤، كان ظاهرها تهدئة الاوضاع في صربيا ، لكون الباب العالي لا يريد ان يفقد سلطاته وسيطرته على بلغراد لأسباب سياسية ودينية ، لذلك قرر ارسال الوزير البوسني بكير باشا الى صربيا بالرغم من استمرار المتمردين الصرب بالهجمات ضد القوات العثمانية، فضلاً عن قادة الانكشارية الذين كانوا غير راغبين بوجوده في بلغراد ولذلك عاملوه بغطرسة شديدة وحاولوا القضاء عليه(٥).

لم يفلح بكير باشا من تهدئة الاوضاع بل زادت اكثر مما كانت عليه، فاضطر السلطان من ارسال الوالي حافظ باشا لازدياد حدة التمردات وبدأ الصرب من جديد بحمل السلاح والاستعداد لمعارك جديدة كان اولها معركة ايفانكوفاك في ١٨ اب ١٨٠٥،والتي تعد من المعارك الكبرى في الانتفاضة الصربية الاولى، والتي حدثت بعد ان فشل حافظ باشا من انهاء التمرد بالطرق السلمية وتحقيق ما كان يريده الصرب من الباب العالي، لذلك اضطر لاستخدام القوة ودارت معارك ضارية بين الطرفين ادت الى خسائر فادحة بين الجانبين، توفي فيها حافظ باشا قائد الجيش العثماني بعد نهاية المعركة متأثراً بجراحه ، بالرغم من الانتصارات التي حققتها قواته وانكسار الصرب امامه(٦).

بعد هذه المعارك بين الصرب والعثمانيين ، حاول الصرب تشكيل مجلس للحكم والادارة بناءاً على رأي القادة الروس، ليكون الحكومة الجديدة للصرب التي تأخذ على عاتقها التنظيم والاشراف على كافة الجوانب في صربيا، واهمها العسكرية والامن والنظام والقضاء والسياسة الخارجية، على ان يحتفظ المجلس بعلاقته مع الباب العالي حسب ما اراده الروس، في الوقت الذي اعتقد الصرب بأن الباب العالي غير جاد للإيفاء بوعوده تجاه الصرب كونه يعدهم متمردين وخارجين عن القانون مما يتطلب قتالهم واعادتهم الى سلطة الدولة، لذلك دعى السلطان سليم الثالث الى تهيئة القوات

واستئناف القتال في صربيا، وكانت البداية معركة براتشيش في اب ١٨٠٥، وجاءت بعدها معركة ميسارا في اب ١٨٠٦، ثم معركة ديلغراد في ٣ ايلول ١٨٠٦، الا ان اي من تلك المعارك لم تحسم الامر لصالح اي منهم بالرغم من تزايد الحشود الصربية في بلغراد، فاضطر الطرفان المتحاربين الى عقد جلسات صلح فيما بينهم أسفر عن التوقيع على صلح سمي بسلام ايكو وهو المبعوث الصربي لدى الباب العالي، وقد اشترط الصرب في مفاوضاتهم مع ممثل السلطان على تسعة شروط مقابل استمرار ولائهم للدولة العثمانية، الا ان هذا الصلح فشل ولم يجد طريقه للتنفيذ نتيجة تملص الباب العالي منه مما دعا روسيا بدعوة المقاتلين الصرب بشكل صريح للقتال معهم ضد العثمانيين، وهذا ما شجع الصرب للإعلان عن مواصلة القتال بالتحالف مع الروس رافضين كل التنازلات التي قدمها الباب العالي في سلام ايكو، والتي ما ان شاهد العثمانيون موقف الصرب من دعوة روسيا لهم باستمرار القتال الا وقد تراجع واعلن الباب العالي موافقته عل بنود صلح ايكو الا ان الاوان قد فات، بعد ان تمكن الصرب من السيطرة الكاملة على باشوية بلغراد في شباط ١٨٠٧، والذي عده الصرب نقطة تحول باتجاه الحصول على الاستقلال(٧).

وفي عام ١٨٠٧–١٨٠٨ حصل تقارب عثماني فرنسي ، حين حاولت فرنسا تحسين علاقتها مع الدولة العثمانية من اجل الحصول على دعمها في حربها المحتملة ضد روسيا، وكذلك ارادت فرنسا حث السلطان على انتهاج سياسة جديدة مع الصرب وكسب ودهم لسد الطريق امام روسيا وعدم تدخلها في الشأن الصربي، وقد ادى هذا التقارب الى تمرد الانكشارية ضد السلطان سليم الثالث والذي اعلن عن نيته القيام بسلسلة من الاصلاحات للصرب الا ان تلك الدعوة انتهت بمقتله في استنبول على يد مصطفى كباكجي اوغلو في ٢٩ تموز ١٨٠٧، وبذلك انتهت امال الصرب في الاصلاحات التي كان السلطان سليم الثالث ينوي تنفيذها، فتجددت المعارك مرة اخرى بين الصرب والعثمانيين في بداية عام ١٨٠٩،لاسيما بعد فشل المفاوضات العثمانية الروسية، وكانت معركة سيغرا في ١٢ اذار ١٨٠٩ ،التي دعا فيها الروس المقاتلين الصرب بالعودة للقتال ضد العثمانيين فحدثت معركة ضارية سيطرت فيها القوات العثمانية على جميع معاقل الصرب وقتل اكثرهم واسر ما تبقى منهم، وهكذا انتهت المعركة على تل سيغرا لصالح العثمانيين(٨).

استمرت احداث المعارك بين العثمانيين والصرب حتى عام ١٨١٣، وكانت معركة سوفودول في منتصف عام ١٨٠٩، وفي ايلول وقعت معركة البرابرة بين الصرب والعثمانيين الذي يقودهم خورشيد باشا، اما القادة الحقيقين في الجانب الصربي فكانوا من الضباط الروس، وبعد ان استمرت المعركة لمدة يومين وذهب ضحيتها اعداد كبيرة من الطرفين، أدت الى انسحاب الصرب الى مدينة فافارين لإعادة تنظيم صفوفهم، ثم تلاحقت المعارك بعد هذه المعركة حتى جاءت معاهدة بوخارست عام ١٨١٢، التي انهت الصراع الروسي العثماني والتي تضمنت بنداً يخص المسألة الصربي وهو البند الثامن ،وبعد توقيع هذه المعاهدة انسحبت القوات الروسية من صربيا لملاقاة قوات نابليون الذي كان يستعد لغزو موسكو، وبذلك فقد قادة الصرب ثقتهم بروسيا التي تركتهم فريسة للقوات الانكشارية والعثمانية، التي عادت الكرة بقوات جديدة اجتاحت بلغراد من جديد عام ١٨١٣، وادت الى انهاء انتفاضة الصرب بعد هروب اغلب قادتهم الى النمسا وروسيا، وتمت السيطرة على باشوية بلغراد من جديد من قبل القوات العثمانية، وبذلك لم يحصل الصرب طيلة المدة ١٨٠٤–١٨١٣ على اي من اهدافهم التي قاتلوا من اجلها، وكان هذا الفشل يعود في جوهره لأسباب عدة تفاعلت فيما بينها وادت الى فشل الانتفاضة الصربية في مرحلتها الاولى.

ثانياً: اسباب انهيار الانتفاضة الصربية:–

كانت هناك عدة أسباب أدت إلى انهيار الانتفاضة الصربية الأولى ١٨٠٤–١٨١٣، أهمها:

١. فساد الجهاد الإداري:

تمكن الزعماء الصرب من بناء الإمارة الصربية الحديثة تدريجياً، وقد امتلكت هذه الإمارة بعض السمات والمقومات التي كان من الممكن أن تساعدها في تشكيل كيان الدولة، ومنها جهاز الحكومة الذي يشمل السلطات المركزية والمحلية،

والإقليم، والسكان، إلا أن استمرار التمردات والانتفاضات فقد ولدت مشاكل كبيرة للشعب الصربي، إذ تسلط بعض قادة الصرب الذين كانوا يكسبون عيشاً جيداً من الرشوة والفساد الإداري والتحكم بمقدرات الشعب، والذين اساءوا كثيراً في استخدام مناصبهم[٩]، إذ انتعش هؤلاء القادة المتسلطين اقتصادياً وسخروا جميع الأموال لصالحهم، وانفصلوا عن الناس في باشوية بلغراد ومناطق نفوذهم الأخرى، وصاروا يأخذون أفضل وأكبر الغنائم عند قتالهم مع العثمانيين، ويصادرون المنازل وممتلكات بعض سكان بلغراد من المسلمين الأتراك بشكل تعسفي، فضلاً عن سيطرتهم عن الكمارك واحتكارهم للتجارة[١٠]، كما استخدموا بعض الأساليب التي كان يستخدمها السباهيون ضد الفلاحين الصرب، فضلاً عن أشكال أخرى موروثة عن حقبة الانكشارية التي كانت سائدة في ذلك الوقت، كما سيطر هؤلاء الزعماء على مداخيل أخرى اكثر ربحاً، وأهمها: المناجم، والبحيرات، ومناطق الصيد، وأحواض الملح، وحقول الأرز، وضرائب المدينة، ومساحات واسعة من الأراضي الصالحة للزراعة، فضلاً عن مخازن الكمارك[١١].

وعلى الرغم من بذل جهود ومحاولات للحد من هذه السلوكيات، ولاسيما تسلط بعض القادة الصرب على السكان في باشوية بلغراد لكنها لم تكن ذات جدوى، بل نجدها قد زادت لتصل إلى شراء العقارات من السباهيين أي قادة الانكشارية الذين انشقوا عن الباب العالي وتمردوا عليه[١٢].

يبدو بأن مصالح قادة الصرب والسباهيين قد التقت عندما تبادل الطرفان المنافع على حساب شعوبهم، التي لا حول لهم ولا قوة فيما يحدث في مناطقهم، سوى أنهم الوقود التي تسعر به الحروب، لذلك يمكن القول أن هذه الممارسات الخاطئة هي أحد الأسباب الرئيسة لانهيار الانتفاضة الصربية خلال العشر سنوات التي استمرت فيها.

٢. تفكك المجتمع الصربي:

أسهم التفكك الطبقي الاجتماعي في صربيا في إضعاف الانتفاضة، فمن المعروف أن رؤساء القرى والشيوخ والدوقات والأمراء والتجار وكبار الإقطاعين والكهنة والرهبان قد أخضعوا كل شيء لمصلحتهم وللإثراء الشخصي، ونظراً لانشغالهم بذلك فأنهم قاموا بتجنيد جماهير الفلاحين والفقراء من سكان المدن للقتال ضد العثمانيين بحجة التحرر الوطني، وهذا جعلهم في مأمن من الموت في المعارك، بينما كان بسطاء الناس هم من يدفع بروحه لذلك[١٣]، وهذا أدى بالفعل إلى تعميق الخلافات والفوارق الاجتماعية بين سكان الصرب، الذين كانوا يرون زعمائهم ينعمون بالثروة، وهم يقاتلون من أجل أن يزيد هؤلاء من ثرواتهم على حسابهم، وهذا ما زاد من تفكك المجتمع، وحقد العامة على الطبقات المترفة، التي لك تكن تهتم سوى بمصالحها الشخصية واستخدام مناصبهم في زيادة إثرائهم اقتصادياً، وهذا ما زاد من انفصالهم عن الناس[١٤].

٣. فساد الجهاز القضائي:

سعى الجهاز الإداري للصرب من أجل تعزيز سلطات الحكم في صربيا، من خلال تنفيذ سلسلة من الإجراءات لقمع ممارسات الفساد والعودة إلى اللوائح القانونية الأولى التي أقرت من قبل، والتي تضمن أحكام ولوائح كثيرة كان أهمها المتعلقة بإساءة استخدام المنصب الرسمي وقبول الرشاوي، وأحكام تنظم الأعمال الإجرامية ضد المجتمع، والأحكام المتعلقة بإهانة الحكومة، واللوائح الخاصة بالسرقة، واللوائح الخاصة بالإهانة أو التشهير بالكهنة والشيوخ والتجار[١٥]، أما القوانين التي تتعلق بالرشوة فهي أربعة أحكام مهمة، اثنان منها تشير إلى الرشوة القضائية، وواحدة تتعلق بالرشوة في الجيش، أما الأخرى تتعلق برشوة الكهنة[١٦].

وقد تم اعتماد هذه القوانين بعد تشكيل مجلس الحكم وإنشاء المحاكم وتشريع القوانين، وتم اعتمادها فعلاً منذ عام ١٨٠٧، وفي عام ١٨١٠ تم تحديثها، وإضافة بعض الأحكام المهمة عليها، كونها تعبر بوضوح عن الواقع الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية لصربيا آنذاك وتعكس بوضوح الظروف التي نشأت فيها تلك القوانين[١٧]، وعلى الرغم من أن القوانين كان فيها تشديد في العقوبة إلا أن بعض القضاة كانوا بلا سلطة بين الناس، لأن قضاة محاكم المقاطعات أو النهجات كانوا تحت التأثير القوي والفاعل للشيوخ، وكانوا تابعين ومطيعين لهم، وغالبيتهم تم انتخابهم من بين الرؤساء

والزعماء، وهؤلاء كانت لهم مصالح وأعمال أخرى في المجتمع كونهم لا يتقاضون راتب في بداية تشكيل المحاكم، لذلك كان اعتمادهم على الشيوخ والزعماء[١٨]، وهذا الأمر كانت له عواقب وخيمة للغاية، إذ وجد هؤلاء الزعماء صعوبة في تنفيذ وقبول أوامر وقوانين المحاكم وأجهزة السلطة، وهذا الأمر جعلهم يعطون لأنفسهم الحق في التدخل في عمل المحاكم واختيار القضاة والضغط عليهم لتنفيذ إرادات هؤلاء الزعماء، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك، وأصدروا الأحكام من تلقاء أنفسهم، ومنعوا الناس من الذهاب إلى المحكمة لحماية حقوقهم، وهذا الأمر أثار المجتمع الصربي ضد زعماءه وقيادته، وفكك بنية المجتمع الصربي، الذي فقد الثقة بمؤسسات النظام الإداري الصربي، ولاسيما مؤسسة القضاء التي كانت تعمل وفق مصالح الزعماء والقادة الصرب[١٩].

٤. الفساد في جيش الانتفاضة الصربية:

انتشرت وبشكل كبير مظاهر الفساد في قوات الانتفاضة الصربية، وظهر كل ذلك في الممارسات التي كان يقوم بها بعض قادة الجيش الصربي، الذي سُمي بجيش الشعب، إذ تشكل قسم من هذا الجيش من الأولاد والمتسولين، وكانوا حراساً شخصياً غير أكفاء للقائد أو الدوق ويتلقون مقابل ذلك راتباً ويسمى (كلوك) "Kuluk"[٢٠]، وكان هؤلاء المقاتلين قد تم تجنيدهم من قبل بعض القادة الذين جلبوهم إلى صربيا أثناء الانتفاضة من بلدان أخرى مقابل أجور ورواتب يأخذ الضباط والقادة جزء كبير منها، على عكس الجنود المتطوعين من الصرب، الذين يقاتلون من أجل منازلهم ومدنهم، ومن بينهم فلاحون فقراء محليون[٢١]، وعادة ما يقوم الجنود المستأجرون بحراسة الحدود أو العمل في المعسكرات والخنادق المحصنة، وكانوا أغلبهم من المشاة وبعضهم من الفرسان ورواتبهم (١٥) غروشن، ويحق لهم الحصول على نصيب من الغنائم المكتسبة من المعارك، والبعض الآخر من المقاتلين يأتون من مناطق أخرى لأسباب ودوافع وطنية وهؤلاء زاد عددهم بشكل كبير بمرور الوقت، لأن بعضهم كان مهتماً بشدة بنهب الأسلحة والمعدات الحربية والغنائم والأموال[٢٢].

كانت غنائم المعارك التي يخوضها المقاتلين الصرب حافزاً مهماً لهم للقتال وخوض المعارك، إلا أن الجزء الأكبر من تلك الغنائم وعمليات النهب تكون في أيدي كبار الضباط بعد مصادرتها من الجنود وتوزيعها بشكل غير عادي بعد استيلائهم على النصيب الأكبر منها، وهذا الأمر أثار وزاد من استياء الجنود على قادتهم الذين كانوا يبررون ذلك كونهم لم يكونوا يتقاضون راتباً مقابل عملهم، لذلك كانوا يستخدمون هذه الأساليب في كثير من الأحيان لتغطية نفقاتهم، وهذا ما كان يثير مقاتليهم الذين كرهوا القتال مع هؤلاء الضباط في كثير من الأحيان[٢٣].

٥.زعزعة الثقة بين صفوف المقاتلين الصرب:

وجدت صربيا نفسها وحيدة في قتال جيش أقوى منها بكثير، فضلاً عن فقدان الثقة بالنفس لدى أغلب المقاتلين وعدم الارتياح وعدم الإيمان بقوة الجيش الذين يقاتلون فيه من ناحية التدريب والإعداد والتسليح، بعد أن وجد المقاتلون أن اعتمادهم على قوة دولية واحدة لا يكفي لتحقيق طموحاتهم، مما أدى إلى إضعاف روحهم القتالية، وظهور حالة التصدع في الجيش بين المقاتلين والقادة الكبار الذين كانت ولاءاتهم مختلفة بين الدول، وحسب ظروف القتال والمرحلة، وقد أدت بعض التطلعات الانفصالية لبعض الدوقات والانضمام لدولة ما على حساب الدول الأخرى مع ميل قره جورج إلى السلطة غير المحدودة والتعسف إلى صراع داخلي خطير أضعف الوحدة الوطنية[٢٤].

٦.الامكانيات العسكرية الهائلة للقوات العثمانية:

كان لتوفر الإمكانيات العسكرية الهائلة للقوات العثمانية من ناحية التدريب والتسليح بكافة أنواعه، فضلاً عن أعداد الجيش الكبيرة التي تجاوزت (٣٠٠) ألف مقاتل بجميع الصنوف، وهذا يدلل على عدم وجود تكافؤ بين القوات الصربية والعثمانية، التي كانت أقوى من القوات الصربية من كل النواحي، إذ كان قره جورج يعجز عن مواجهة القوات العثمانية كبيرة العدد، التي كانت لها القدرة على تطويق باشوية بلغراد من جميع الجهات، وهذا الأمر له دور كبير في النجاحات

العسكرية التي حققها الجيش العثماني في البلقان ولاسيما باشوية بلغراد، علماً أن في ذروة الانتفاضة الأولى كان لدى قره جورج (٥٠) ألف مقاتل[٢٥].

٧.الانهيار من الداخل الصربي:

كان الانهيار الداخلي الذي أصاب المتمردين والسكان الصرب قبل وصول العثمانيين إلى بلاد الصرب في عام ١٨١٣، وقد تمثل هذا الانهيار في الجانب النفسي والأخلاقي، وكذلك الجانب الاجتماعي المتفكك، إذ ظهر (سادة) مختلفون، من قادة الصرب الجدد في بعض أماكن الباشوية، والذين غالباً ما ارتكبوا قمعاً أكبر ضد شعبهم من العثمانيين، وهذا الأمر معروف تاريخياً في الحروب أي انه لم تستطيع القوى الخارجية من السيطرة على دولة ما، إلا بعد أن تنهار تلك الدولة من الداخل، ويسهل السيطرة عليها واحتلالها[٢٦].

٨. التخاذل وهروب القادة:

ادى هروب قائد الانتفاضة الصربية الأولى قره جورج قبل يومين من دخول القوات العثمانية إلى باشوية بلغراد مع عائلته إلى النمسا – المجر، مما أدى إلى الإحباط الكبير الذي أصاب المقاتلين الصرب وقادتهم من جراء هروب قائدهم، مما كان له الأثر الواضح على انكسار معنويات الجند بشكل عام، وقد انعكس ذلك على سكان الصرب داخل بلغراد، إذ هرب عدد كبير منهم إلى المناطق المجاورة من الجبال وضفاف الأنهار، وكانت هذه الهزيمة التي عانت منها صربيا في ذلك الوقت واحدة من أكبر الكوارث التي لحقت بها، وذلك بسبب المعاناة التي عاشوها، إذ لا يعرف عدد الأشخاص الذين لقوا حتفهم من جراء هذا النزوح، على الرغم من أن الجيش العثماني لم يتعرض للسكان الآمنين من النساء والأطفال والشيوخ، ولا حتى المقاتلين الصرب المسالمين الذين لقوا سلاحهم[٢٧].

٩. اندلاع الحرب بين فرنسا وروسيا:

والسبب الآخر المهم لانهيار الانتفاضة الصربية الأولى هو هجوم نابليون على روسيا، الحليف الرئيس للصرب، وهذا ما جعل روسيا تنشغل بحربها مع روسيا تاركة الصرب وشأنهم، وهذا مكن العثمانيين من جمع المزيد من الجيوش لكسر الانتفاضة، كما أن هجوم نابليون على روسيا أسهم في حالة من الضعف الداخلي للمقاتلين الصرب وانهيارهم من الداخل[٢٨].

١٠.تزايد الخلاف بين قادة الصرب:

كان للخلافات العميقة التي حصلت بين القادة الصرب المقاتلين وبين أعيان بعض المدن الصربية، الذين كان البعض منهم من أشد المعارضين لقيام التمردات ولاسيما داخل المدن الآمنة التي كانت الحاضنة لهؤلاء المقاتلين لأجل إبعاد شبح الحرب والدمار عن مدنهم وتجنب السكان الدخول في الصراعات الحاصلة مع العثمانيين[٢٩].

١١. تأثيرات العوامل الخارجية:

تأثر المقاتلون الصرب وقادتهم بالعوامل الخارجية، وعدهم فهم العديد من الزعماء الصرب للعلاقات السياسية في أوربا وقيام سياسة التحالفات، وهذا الأمر هو الذي أدى إلى خلافات بين قادة الصرب بسبب الولاء لتلك الجهة أو غيرها، وكان أغلب قادة الصرب يرون انه "**كان من غير الواقعي أن تسمح لهم القوى العظمى بإنشاء دولة مستقلة، ويعتقد هؤلاء أنهم غير قادرين حتى على قيادة الدولة، كما اعتقدوا أن الانتفاضة كان من يجب أن تنتهي في عام ١٨٠٤، مع تصفية قادة الانكشارية المنشقين عن الدولة العثمانية، وإنشاء إدارة صربية عثمانية، ومن ثم الاستيلاء ببطء على الحكومة والأراضي قطعة قطعة، وينتهي الأمر الذي تطور إلى ولاءات لدول أخرى تعمل وفق مصالحها الخاصة غير مبالية بالصرب أو غيرهم**"[٣٠].

١٢. نقص الاسلحة والخبرات الحديثة:

افتقار المتمردين الصرب إلى الأسلحة الحديثة والمتطورة، والتي تساعدهم على تنفيذ خططهم العسكرية وإظهار مهاراتهم التكتيكية والاستراتيجية، فضلاً عن افتقارهم للخبرات الإدارية التي تمكنهم من إدارة شؤونهم الداخلية والخارجية، لاسيما في إدارة المفاوضات مع الباب العالي وروسيا، التي تطلب من الصرب الإلمام والإحاطة بكثير من الأمور التي تمكنهم من تشكيل كيان الدولة، التي كان من غير الممكن والواقعي أن تسمح لهم القوى العظمى بدولة مستقلة، وذلك بسبب عدم قدرتهم على قيادتها وإدارتها، فضلاً عن ذلك لم يرغب أي شخص في الغرب في مساعدة صربيا، إلا بقدر تعلق الأمور بمصالح بلدانهم، فالنمسا على سبيل المثال كانت ترغب في مساعدة الصرب ولكن ليس من أجل عيون الصرب، وإنما من أجل تحشيد الصرب ضد فرنسا(٣١).

١٣. عدم التخطيط المسبق للانتفاضة الصربية الأولى:

على الرغم من ظهور المشاعر منذ وقت مبكر، للهوية الوطنية والرغبة الأولى في الاستقلال الوطني للشعوب السلافية الجنوبية، ومع ذلك فأن هذا الشعور لم يتطور بشكل كاف، ولم يكن الدافع الأول للانتفاضة الاستقلال، بل التخلص من تعسف الانكشارية الذين تمردوا عن الباب العالي وتمادوا في ظلم الناس، مما تسبب في استياء عامة الصرب من تصرفاتهم وأعمالهم، فخرجوا بشكل عفوي للتعبير عن رفضهم لوجود الانكشارية في بلادهم، وعليه فأن انتفاضتهم جاءت طبقاً للوضع الداخلي السيء في عموم باشوية بلغراد، لذلك لم يكن لديهم الوعي الكافي والدبلوماسية للتعايش مع الأحداث الدولية، لذلك كان الصرب أداة طيعة في يد القوى العظمى، التي قدمت بعض المساعدات للصرب لأجل مصالحهم الخاصة(٣٢).

١٤. التحالف الفرنسي العثماني:

يعد هذا الأمر سبباً مهماً في انهيار الانتفاضة الصربية، بالرغم من انه كانت هناك أسباب جيوسياسية ساعدت على هذا التحالف بين العثمانيين والفرنسيين، إذ كانت الظروف الأولى التي وقعت فيها التمردات سيئة للغاية، لاسيما من الجانب العثماني، الذي حاول قمع التمردات في بداية حدوثها في باشوية بلغراد، وذلك حاولت فرنسا تقديم المساعدة للقوات العثمانية من خلال إرسال ضباط مستشارين فرنسيين للمشاركة في وضع الخطط العسكرية أثناء اندلاع التمردات الصربية ضد العثمانيين، وكذلك لمساعدة القوات العثمانية ضد روسيا والنمسا ووقف تقدمهم، كما زودت فرنسا الدولة العثمانية بالمدافع والأسلحة، وهذا الأمر أدى إلى إضعاف المقاتلين الصرب تماماً، وعدم إمكانيتهم في الحفاظ على الأراضي التي سيطروا عليها لمدة طويلة، وذلك بسبب عدم وجود أعداد كافية من المقاتلين الصرب يقوموا بمسك الأرض بعد طرد القوات العثمانية منها(٣٣).

يقول مؤرخ القرن التاسع عشر الصربي لازار أرسينيفيتش أن هناك سبباً مهماً من أسباب انهيار الانتفاضة الصربية الأولى، مرتبطاً بالمادة الثامنة من بنود معاهدة بوخارست ١٨١٢، وعلى الرغم من الأداء المتواضع للعثمانيين في الحرب الروسية العثمانية، إلا أن الباب العالي أراد البقاء بعيداً عن الصراع الوشيك بين نابليون وروسيا، فضلاً عن أن الروس لم يرغبوا في حرب جانبية، وبالتالي صنعوا السلام من أجل التخلص من الحرب المحتملة مع فرنسا، كذلك العثمانيين قد خلصوا أنفسهم من حرب كارثية محتملة، وأصبحت هذه المعاهدة أساس العلاقات الروسية العثمانية في الحاضر والمستقبل، وهذا قد أخر بشكل كبير بالانتفاضة واستمرارها(٣٤).

أزعج صلح بوخارست بين العثمانيين من جهة والروس والصرب من جهة أخرى فرنسا، التي عدت التقارب الروسي – العثماني خيانة لروابط الصداقة التقليدية بين الباب العالي وفرنسا، لأن هذا الصلح أتاح لروسيا تركيز قوتها لصد التقدم الفرنسي باتجاه موسكو(٣٥).

لم يقتصر أمر عدم الرضا والازعاج على فرنسا، إذ عبر الصرب عن عدم رضاهم على عودة بلادهم إلى الحكم العثماني، كما أن الباب العالي كان لا يريد العودة لصربيا بشكل سلمي، إذ رأى أن المجال بات مفتوحاً للسيطرة المطلقة على صربيا بعد عقد الصبح مع روسيا، التي كانت الداعم الرئيس للصرب في حربهم ضد العثمانيين(٣٦)، لذلك لم تجد المادة (٨) من صلح بوخارست والخاصة بالصرب طريقاً للتنفيذ، وهذا ما دعا النمسا للسعي للتوسط بين الطرفين العثماني والصربي من أجل العودة للتفاوض، وقد نجحت في إقناع الطرفين لعقد لقاء بينهما، وبالفعل جرت جولة من المفاوضات في صوفيا في ١٢ آذار / مارس ١٨١٣، وبحضور السفير الروسي لدى الباب العالي ايتالينسكي "Italinsky" وجلبي أفندي من الجانب العثماني، وممثلي الصرب الذين أعلنوا عن استعدادهم للبقاء تحت الحكم العثماني، ولكن وفق الشروط التالية(٣٧):-

أ- على الباب العالي تعيين باشا جديد يراعي سكان الصرب في باشوية بلغراد، ويكون مقره القلعة ومعه (٥٠) جندياً فقط.
ب- بقاء كافة الأماكن المحصنة والمعسكرات على الحدود في أيدي الصرب.
ت- أن تبقى القوات الصربية محتفظة بالأراضي التي تم تحريرها في السابق أثناء الحرب.
ث- أن يكون لباقي الولايات التابعة لباشوية بلغراد في صربيا أميراً يحكمها، كما في ولاشيا وملدافيا.
ج- أن يسمح للمقاتلين الصرب الاحتفاظ بأسلحتهم من أجل حماية وطنهم والدفاع عنه.

لم يوافق العثمانيون على هذه الشروط وفشلت المفاوضات لعدم التوصل إلى حل يرضي الطرفين.

بدأ الباب العالي يفكر باتخاذ إجراءات جديدة حول الصرب، وقد تضاربت الآراء بهذا الخصوص، فقسم من المسؤولين العثمانيين يرون انه من الضروري الانتظار وعدم استخدام القوة ضد الصرب ومحاولة التوصل لحل معهم بالطرق السلمية، أما القسم الآخر فكان يميل نحو السياسة الفرنسية ومدعوم منهم، لذلك يسعى إلى اتخاذ إجراءات جذرية بحق الصرب تفضي إلى استخدام القوة ضدهم، وإخضاعهم للسلطة العثمانية عن طريق شن الحرب عليهم، وهذا ما كانت فرنسا تبحث عنه لإشغالهم وإشغال روسيا بهذا الصراع الجديد(٣٨).

إن فشل مفاوضات صوفيا جعلت قره جورج يعقد اجتماعات متعددة مع الزعماء الصرب لأجل الخروج نتيجة مرضية مع الباب العالي، إلا أن غالبية زعماء الصرب لم يوافقوا على تنفيذ بنود معاهدة بوخارست التي أصر الباب العالي على تنفيذها كبادرة حسن نية من الصرب الذين رفضوا تسليم أسلحتهم وإعادة القلاع إلى القوات العثمانية، المتفق عليها في معاهدة بوخارست(٣٩)، وقد أحس الصرب بأنهم قد خدعوا من قبل روسيا، وأصابتهم خيبة أمل كبيرة أثرت بشكل كبير على معنويات القادة والمقاتلين الصرب على حد سواء، في حين أبدى العثمانيين عن استعدادهم للتفاوض مع الصرب، ومناقشة بعض شروطهم وبما يحقق تهدئة الأوضاع، وضد أصدر الباب العالي توجيهات إلى كافة حكامها في البوسنة ونيس بضرورة تهدئة الأوضاع وفق ما جاء بالبند الثامن من معاهدة بوخارست كشرط للمفاوضات، وكعلامة على حسن نية المقاتلين الصرب(٤٠).

طلب هؤلاء الحكام من قادة الصرب السماح بدخول الجيش العثماني إلى المدن الصربية، إلا أن الزعماء الصرب رفضوا بشكل قاطع ذلك الأمر، ولكن عندما شاهدوا انسحاب القوات الروسية من ساحات المعارك في صربيا وافقوا على دخول القوات العثمانية إلى المدن، لكن هذه الموافقة لن تجدي نفعاً لفوات الأوان، إذ توصل العثمانيون إلى قناعة مفادها بأنهم ليسوا على استعداد لإضاعة الوقت في مفاوضات لا طائل منها، وقد أدرك الصرب أن موقفهم بات صعباً وأن عليهم

مواجهة القوات العثمانية، لذلك أمر رئيس الأساقفة، بالصلاة العامة من أجل النجاح والنصر في المعارك القادمة مع العثمانيين، كما أصدر قره جورج بياناً للشعب أعلن فيه: **"إن الأتراك يدوسون على معاهدة السلام المبرمة مع حامي صربيا [روسيا]، ولا يرغبون فقط في الاستيلاء على المدن والحصون، ولكن لإبادة الأمة بقتل الذكور من سن سبعة سنوات فما فوق، وتحويل النساء إلى الإسلام، واستعمار الأراضي الصربية بشكل مختلف"**[٤١]، وطلب قره جورج من الشعب الاستعداد للقتال لاستئناف الانتفاضة ضد الباب العالي، الذي رفض من جانبه الاتفاقات كافة، وأصدر أوامره للقوات العثمانية باجتياح باشوية بلغراد والمدن المجاورة لها[٤٢].

أسندت مهمة قيادة الجيش العثماني إلى الصدر الأعظم خورشيد باشا، أما قوات الصرب فكانت بقيادة قره جورج، وفي شهر حزيران / يونيو ١٨١٣ هاجمت القوات العثمانية الجيش الصربي، وحصلت معركة دامية في منطقة رافنا، وقد سميت المعركة على اسم المنطقة التي دارت فيها، وتحولت المناوشات الأولية مع الصرب إلى معارك دامية استمرت طيلة الليل والنهار، ولمدة (١٧) يوماً دون انقطاع، حتى أنها أرهقت الطرفين المتحاربين[٤٣].

كانت القوات العثمانية تحاول الوصول إلى الخندق الكبير، الذي يتحصن به الصرب من أجل حسم المعركة، وباستشارة من ضباط الهندسة الفرنسيين تم حفر انفاق باتجاه الخندق الصربي والوصول إليه، وهذه الخطة قد ساعدت القوات العثمانية كثيراً في اختراق الجيش الصربي ومهاجمته في الخندق، مما اضطره إلى الانسحاب أمام الجيش العثماني بعد أن تكبد خسائر كبيرة تقدر بأكثر من نصف قواته، التي قاتلت بكل شراسة، وقد استمرت القوات العثمانية في تقدمها نحو هدفها الرئيس مدينة بلغراد[٤٤].

وفي ١١ تموز / يوليو ١٨١٣ بدأ الهجوم العثماني على نيجوتين، وتم الاستيلاء على بعض القرى في مقتربات نيجوتين، وفي ١٣ تموز / يوليو حاصرت القوات العثمانية نيجوتين من الجانبين الشمالي والشرقي بقيادة خورشيد باشا، ومن الجانب الجنوبي كانت القوات العثمانية بقيادة رجب أغا وحاصروا المدينة، وقاموا بضربها بالمدفعية، وقد تصدت لهم القوات الصربية بشن غارات ناجحة على صفوف الجيش العثماني الحقت بهم خسائر كبيرة، إلا أن المدفعية العثمانية دمرت التحصينات الصربية، واستمر حصار المدينة، مما أدى إلى انسحاب المقاتلين الصرب في ليلة ٩ – ١٠ آب / أغسطس ١٨١٣ بشكل غير محسوس إلى منطقة بوراك تاركين ورائهم بعض المدافع والذخيرة والطعام والجرحى في الكنيسة، وبذلك فقد تمت سيطرة العثمانيين على نيجوتين دون قتال في ١٠ آب / أغسطس، ثم تحرك نصف الجيش بقيادة الصدر الأعظم خورشيد باشا إلى ديلغراد، وقبل وصول هذه القوات انهزمت قوات الصرب من المدينة، والقسم الآخر من الصرب وقع في الأسر لدى القوات العثمانية[٤٥].

بدأ الصرب بخسارة المعارك الواحدة تلو الأخرى، وتفاقمت أوضاعهم من سيء إلى أسوأ نتيجة الهزائم المتكررة، لاسيما وأن قائدهم قره جورج كان غائباً عن جنوده لمدة أسبوعين كاملين، لأنه كان مريضاً يرقد في قريته، وعندما تعافى قليلاً سارع إلى العودة والانضمام لقواته للدفاع عن لوزنيكا التي كانت في خطر شديد، إلا أن الأنظار وصلته تشير إلى هزيمة قواته وتراجعها في كل الأماكن وساحات المعارك أمام القوات العثمانية، وقد واجه قره جورج الحشود الكبيرة من الصرب الهاربين وحاول إقناعهم للعودة للقتال، وقد زاد إحباط قره جورج عندما وصلته الأخبار تشير إلى أن قوات الصرب في الجنوب من بلغراد التي يقودها ملادين قد هزمت وتشتت تماماً، وأن أعداد كبيرة منهم فرت وهي في ذعر شديد للوصول إلى النمسا، أما سكان المناطق الداخلية فقد لجأوا للجبال والغابات[٤٦].

نتيجة لتسارع الأحداث واجتياح كافة المدن الصربية من قبل القوات العثمانية، والتي أصابت زعيم الصرب قره جورج خيبة أمل كبيرة، نتيجة الانهيار السريع للانتفاضة الصربية في كل مكان، عندها أدرك قره جورج بأن الدفاع والتصدي للعثمانيين أصبح ميؤوساً منه فقد كتب قره جورج بالاشتراك مع بعض قادته، وبناءً على نصيحة الممثل الروسي لدى الصرب نيروبا "M. Nedoba"، التماساً للصدر الأعظم خورشيد باشا يطلب منه الهدنة لمدة ستة أسابيع، من أجل

إعداد مقترحات جديدة وتقديمها للباب العالي، لكن خورشيد باشا رفض الطلب، ولم يسمح بأي هدنة، وواصل التقدم بجميع قواته نحو بلغراد(٤٧).

كان قره جورج يبغي من هذا التماس طلب الهدنة بأن يقوم بنقل سكان الصرب إلى روسيا حسب ما اتفق عليه مع روسيا وبعض الزعماء الصرب، لاسيما كبار السن والنساء والأطفال والتي يقدر عددهم بـ(٣٠٠) ألف شخص خوفاً عليهم من الإبادة والأسر والتشريد(٤٨).

اعترضت روسيا على طلب قره جورج للتهدئة لأنها لم تكن مستعدة لاستقبال هذه الأعداد من الصرب كون هذا الأمر خارج إطار معاهدة بوخارست، وهذا الأمر خارج إطار معاهدة بوخارست، وهذا الأمر قد شجع الباب العالي على اجتياح صربيا باستخدام جميع الوسائل المتاحة في ٢١ أيلول / سبتمبر ١٨١٣ هاجمت القوات العثمانية باشوية بلغراد من كل الاتجاهات وأحكمت سيطرتها عليها، واستقرت فيها وفي قلعتها، لذلك اضطر قره جورج بالاتفاق مع الممثل الروسي نيدوبا إلى مغادرة بلغراد سراً مع أعداد كبيرة من الدوقات والقادة الصرب باستثناء ميلوش أوبرينوفيتش، إلا أن قره جورج بقي ملازماً لنيدوبا حتى أثناء دخولهم إلى زيمون، وخوفاً من أن يواجه الممثل الروسي نيدوبا مشكلة بسبب وجود قره جورج في زيمون اقترح عليه المغادرة إلى روسيا، إلا أن قره جورج غير رأيه وانفصل عن صاحبه في ٢٣ أيلول / سبتمبر ١٨١٣ وذهب إلى دير البشارة في النمسا(٤٩).

وفي ٦ تشرين الأول / أكتوبر ١٨١٣ وصلت الأخبار إلى الباب العالي بالسيطرة التامة من قبل القوات العثمانية على بلغراد وسباباك وسيميدريفو، وأطلقت المدافع لمدة ثلاثة أيام في البسفور ابتهاجاً وتكريماً لهذا النصر المؤزر، وبذلك فقد انتهت أهم حقبة من مراحل الصراع العثماني الصربي، الذي استمر قرابة العشر سنوات من حروب وأحداث دامية بين الطرفين، وبرغم بعض التدخلات الدولية إلى جانب الصرب، الذين قاتلوا بكل شراسة، وكانت النهاية عودة صربيا تحت السيطرة العثمانية من جديد، وبالرغم من هذا الانهيار السريع للانتفاضة الصربية لصالح الجيش العثماني، إلا أن هذه الانتفاضة قد تحولت من طابعها المحلي البسيط إلى بعد دولي جديد دخلت ضمن اهتمامات الدولة الكبرى(٥٠).

الخاتمة:

من خلال تحليل مسار احداث **(اسباب انهيار الانتفاضة الصربية الاولى عام ١٨٠٤-١٨١٣)** تم التوصل الى عدد من الاستنتاجات واهمها:

١. كانت صربيا تحتل مكانة خاصة في البلقان من ناحية الموقع الجغرافي، وتوسطها لمدن البلقان ، والتي عدها العثمانيون بوابة الشرق نحو أوربا منذ القدم لذلك اصبحت اهم بؤر الصراع الاوربي العثماني.
٢. كانت الانتفاضة الصربية الاولى في بداياتها ضد وجود الجيش الانكشاري في باشوية بلغراد واستخدامهم الاساليب القسرية والعنف ضد السكان الصرب وفرض الضرائب الباهظة على اصحاب الاراضي والفلاحين.
٣. بدأت الانتفاضة الصربية الاولى بأعداد قليلة من سكان الصرب والفلاحين وذات طابع شعبي حتى توسعت واخذت بعداً دولياً فيما بعد.
٤. اسهمت اسباب عديدة لقيام الانتفاضة الاولى واهمها العامل الديني والاقتصادي ،وكذلك ظهور العامل القومي الذي ساعد على ايقاظ الشعور القومي لدى الصرب وتلاحمهم ضد العثمانيين.
٥. كان للعوامل الخارجية اثر واضح في الانتفاضة وتدخل الدول الاوربية الى جانب الصرب، لاسيما لأجل مصالحهم الخاصة ايضاً، وان الظروف الدولية لم تكن لتسمح بحل مرضي للطرفين العثماني والصربي حتى تستمر بتدخلاتها ووضع العراقيل بوجه الحلول بينهم.[٥١]

الهوامش:

(١) يلماز اوزتونا، موسوعة تاريخ الامبراطورية العثمانية السياسي والعسكري والحضاري ١٢٣١-١٩٢٢،المجلد الثاني، ترجمة: عدنان محمود سلمان، الدار العربية للموسوعات ، لبنان ، ٢٠١٠، ص٥٦٣.

(٢) اكمل الدين احسان اوغلو،الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، مركز الابحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية باسطنبول، تركيا،١٩٩٩،ص٩٠-٩١.

(٣) المصدر نفسه،ص٩٣.

(٤) بيتر شوجر، اوربا العثمانية ١٣٥٤-١٨٠٤ في اصول الصراع العرقي في الصرب والبوسنة، ترجمة: عاصم الدسوقي، دار الثقافة الجديد، القاهرة،١٩٩٨،ص٢٧٢-٢٧٣.

(٥) ادوارد شيفر كريسي، تاريخ الاتراك العثمانيين، ترجمة: احمد سالم، دار جامعة حمد بن خليفة للنشر،الدوحة ،٢٠١٩،ص٦١٢.

(٦) المصدر نفسه،ص٦١٤.

(٧) محمد سهيل طقوش،تاريخ العثمانيين من قيام الدولة الى الانقلاب على الخلافة، دار النفائس للطباعة والنشر، بيروت ،٢٠٠٨،ص ٣٣٤-٣٣٦.

(٨) المصدر نفسه،ص ٣٣٧.

(9) Белов М., Первое сербское восстание 1804 – 1813гг, и Россия: история проблемы, Изд-во РГГУ, Москва, 1997, Стр.28 ; Д. Ј. Оповић, О инцарима: прилози питању постанка нашег грађанског друштва, Прометеј, 1998, Стр.257.

(10) Mirage Lawrence, Op. Cit., P. 441 ; Нарошницки А.Л., претходни извор, Стр.222.

(11) Достиан. Е, Россия и балканский вопрос: Из истории русско-балканских политических отношений в первой трети XIX века, Стр.93.

(12) Шимякин А., Народ и власть в независимой Сербии, двести лет нового сербского государства Издания Российского Университета, СПб, 2005, Стр.177.

(13) Белов М., Проблема институционализации и легитимации власти в Сербии 1804 – 1830гг., Л., 1986, Стр.93.

(14) Шимякин А., претходни извор, Стр.178.

(15) Борбо Крубић, Закон Србије од важећег законодавства до предлога и свеобухватне реформе, Београд, Публикације Института за упоредно право, Београд, 2008, Стр.35.

(16) Мурковиц С. Зоран, Српска правна историја, Правни факултет Универзитета у Београду, Центар за публикације, Београд, 2001, Стр.275 ; Грачев. Ф., претходни извор, Стр.106.

(17) Марковић, Ратко, Уставно право, Правни факултет Универзитета у Београду, Центар за публикације, Београд, 2010, Стр.119 ; Белов М., претходни извор, Стр.95.

(18) Иосиф Раджашица, Политические и культурные связи России с югославскими землями 1804 – 1813гг., Издания Российской академии наук и искусств, Россия, 1984, Стр.97 ; Борбо Крубић, претходни извор, Стр.36.

(19) Мурковиц С. Зоран, претходни извор, Стр.278 ; Белов М., претходни извор, Стр.96 ; Марковић, Ратко, претходни извор, Стр.120.

(٢٠) كلوك: وهو ما يدفعه الفلاحون الصرب للملاكيين الكبار والذي أسهم في تعميق الملكية والفوارق الاجتماعية بين السكان الصرب والبرجوازية الريفية، بحيث يدفع الفلاح الجزء الأكبر من ما يحصل عليه من إيرادات أرضه لهؤلاء القادة مقابل استمراره بالعمل في الأراضي التي يسيطر عليها الاقطاعيين والزعماء، وهو النظام نفسه الذي كان يستخدمه السباهيون من قادة الانكشارية. للمزيد ينظر:

Стојан Новаковић, Уставно питање и порески закони у време Карађорга, Бели град, 1973, Стр.211.

(21) Јанкониковић, Манифестације корупције и уставни развој Србије, Цапитал Банца, Београд, 2000, Стр.83.

(22) Ђорђе Попало, Владари Србије и једанаест векова државног уређења, издање Младенска Кењига, Београд, 2016, Стр.94.

(23) Небојша Ђокић, Два века Другог српског устанка, Издавач Јорни Милановац, Центар за османске студије, Београд, 2015, Стр.182.

(24) Јанкониковић, претходни извор, Стр.83.

(25) Белов. н.э., претходни извор, Стр.32 ; Грашеф. F, претходни извор, Стр.124.
(26) Небојша Ђокић, претходни извор, Стр.183 ; Белов. М., претходни извор, Стр.36.
(27) Јанкониковић, претходни извор, Стр.84.
(28) Митин А. В. Дес Канд, Сербско-российское военное сотрудничество во время Первого сербского восстания (1804-1813 гг.) Научная библиотека Российского университета, 1994, Стр.24.
(29) Небојша Ђокић, претходни извор, Стр.184.
(30) Дејан Мићавица, Карагорги и уставно питање у Србији 1804 – 1813, ПМФ, Нови Сад, 2009, други део, Стр.138 ; Ђорђе Попало, претходни извор, Стр.98.
(31) Биљак, претходни извор, Стр.29 ; Небојша Ђокић, претходни извор, Стр.184.
(32) Јанкониковић, претходни извор, Стр.85 ; Митин А. В. Дес Канд, претходни извор, Стр.36.
(33) Раде Вужинић, претходни извор, Стр.89 ; Hatice Bayraktar, Osmanlı'nın Balkanlardan Çekilmesi – İsyan Savaşları ve Göç, Balıkesir Üniversitesi Yayınları, İstanbul, 2007, S. 142.
(34)Стојан Новаковић, Уставно питање и порески закони у време Карађорга, Бели град, 1973, Стр.211.
(35) Тайна Никтина М., претходни извор, Стр.41 ; Белов м., претходни извор, Стр.62.
(36) Дејан Мићавица, претходни извор, Стр.141.
(37) Тара Нојо С., Глобализација и организовани криминал у примени међународног кривичног права, Међународно удружење за кривично право, Нови Сад, 2007, Стр.70 ; Dia Coral, Osmanlı Tarihi ve İnkılap 1730 – 1839, Dar Al-Kutub Al-Ilmia Yayınları, Ankara, 1997, SS.176 – 177.
(38) Hatice Bayraktar, A.G.E., SS.143 – 144 ; İsmail Sosal, A.G.E., S.192.
(39) Дејан Мићавица, претходни извор, Стр.142.
(40) Yaşar Şefim, A.G.E., S.34 ; Десница Ђоковић, Пет аката Правитељствујушчег совјета српског 1805 – 1813, Информативни билтен издао Архивско одељење Украјине, Харков, 1973, Стр.171.
(41) Ђорђе Попало, претходни извор, Стр.101.
(42) Mirage Lawrence, Op. Cit., P.452.
(43) Јован Солујић, Нацрт резолуције Смедереволског друштва Српски устанак, Историјски архив Академије наука СССР, Москва, 1980, Стр.321.
(44) Теодор Дринишић, Почеци слома Првог српског устанка 1812. године, Летопис историје Матице српске, бр.4, Нови Сад, 1974, Стр.218.
(45) Драган Јовацивић, Основне карактеристике српско – карагорског законодавства до 1814, Годишњак Правног факултета, Бања Лука, 1972, Стр.93 ; Десница Ђоковић, претходни извор, Стр.172.
(46) Јован Солујић, претходни извор, Стр.322 ; Иван Ломитић, карагорски челник, оснивач српске државе у Првом српском устанку 1804 – 1817, Бели град, 2003, Стр.79.
(47) Теодор Дринишић, претходни извор, Стр.219.
(48) Иван Ломитић, претходни извор, Стр.81.
(49) Драган Јовацивић, претходни извор, Стр.93.
(50) Теодор Дринишић, претходни извор, Стр.224.